جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

التاريخ: **18** شوال **1429**هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

وفق **2008/10/17**م **www.al-msjd-alaqsa.com**

نبضات من التفسير – في سورة الفاتحة – الحلقة الثانية

(مالك يوم الدين)

هناك قراءة متواترة (مَلِك يوم الدين) وليس هناك قراءة أولى من قراءة فكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين لتجمع بين معنى المالِك والمَلك. المالك من التملك بمعنى الذي يملك الملك، كما قال تعالى في سورة مريم **19** – آية **40**: (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)، وملِك من المُلك والحكم كما في قوله تعالى في سورة غافر **40** – آية **16**: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)، وفي قوله في سورة الفرقان **25** – آية **26**: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا)، وكما في قوله في سورة الزخرف **43** – آية **51** (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ) المُلك هنا بمعنى الحكم والحاكم الأعلى هو الله تعالى. المالك قد يكون ملكاً وقد لا يكون، والمِلك قد يكون مالِكا وقد لا يكون. المالك يتصرف في ملكه كما لا يتصرف المِلك، والمالك عليه أن يتولى أمر مملوكيه من الكسوة والطعام، والمِلك ينظر للحكم والعدل والإنصاف. المالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم والمِلك هو المتصرف الأكبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة، فنزلت القراءتين لتجمع بين معنى المالك والملك وتدل على انه سبحانه هو المالك وهو الملك، يقول عز وجل في سورة آل عمران **3** – آية **26** (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmazenah Elhmra - No. 9
P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم9
ص.ب: 51172، تلفاكس: 9726282173++ محمول: 972523623683+، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، المُلك ملكه سبحانه وتعالى فجمع بين معنى الملكية والملك.

المالك

الله هو المالك، ولا مالك غير الله، فكل الأماكن هي مُلكٌ لله، الأرض وما عليها والسماء وما فيها، العرش وكرسي العرش، اللوح المحفوظ والقلم، الجنة والنار، كلها أماكن، وكل مكان ندركه أو لا ندركه هو مخلوق من مخلوقات الله، وهذا المخلوق ضعيف محتاج لله، أما الله فهو الغني، الذي يحتاج لمخلوقاته، فلا يحتاج الله للمكان، ولا يستطيع المكان أن يقدم لله عز وجل شيء، فلا يمكن لنا أن نتصور وجود الله في مكان ما، كوننا بهذا نحد وجوده عز وجل، فليس الله جزء من المكان، بل بالعكس كل المكان جزء من ملك الله، لذلك فنحن لا نقول ان الله (موجود)، بل نقول أن الله (واجب الوجود)، بحسب قدرتنا العقلية على الفهم والإستيعاب، فلن تصل مداركنا وعقولنا لذاته عز وجل. وقد نقول مجازاً أننا نملك شيء، كأن يقول الإنسان أنه يملك قطعة أرض، أو أنه عنده سيارة أو أن لديه مال، وهذ القول المجازي مسموح فقط بإقرارك الداخلي أن الملك الحقيقي هو الله، وأن تمليك الله لك شيء في الدنيا إنما هو من قبيل الإستخلاف والإبتلاء، وهذا التمليك مؤقت، وعند الموت يترك الإنسان كل شيء ويغادر.

المَلِك

الملك هو القاضي والحاكم في منطقة حكمه، فله الحكم وله الأمر وله الطاعة، والله هو (المَلِك)، فهو عز وجل ملك كل المخلوقات في الدنيا والآخر، وحكمه هو الحكم النافذ عليهم، فكل ما يحدث في الدنيا وكل ما يحدث في الآخر، إنما هو بأمر الله عز وجل، وحكم الله على عباده أزلي كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلائق بخمسين الف سنة،

فكان حكمه عليهم هو (القضاء)، حتى أنه عز وجل حدد كمية كل حكم من هذه الأحكام على كل مخلوق من مخلوقاته، وكانت هذه الكمية في الحكم هي (القدر)، فالفقر قضاء الله، أما كمية الفقر فهي قدره، والصحة هي قضاء الله أما كميتها فهي (القدر)، وهكذا. والمِلكُ في الحقيقة هو الله عز وجل، وأما تسمية غيره في الدنيا بمِلك فعلى سبيل المجاز، وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون) "رواه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا".

يوم

في (مالك) وفي (مِلك)، كان كل المكان لله، وكانت كل الأحكام والأفعال لله، وفي (يوم)، كان الزمان لله أيضاً، فالزمان مخلوق ضعيف محتاج لله، فالله هو الغني، أي أنه غني عن الزمان، كما هو غني عن المكان، وكما هو غني عن المخلوقات، ولا يصح أن نعتقد أن الله يحتاج الزمان بشيء من أموره عز وجل، فليس للزمان تأثير على الله، ولا ينطبق على الله ما ينطبق علينا بتغير الزمان، كتغير الصفات والقدرات والتبدل مثل الكبر والهرم والموت والنسيان، فهذا التغير إنما ينطبق على المخلوقات، ولكنه لا ينطبق على خالق الزمان. ومن ناحية قدرتنا على الزمان فليست كقدرة الله عز وجل عليه، فنحن نستطيع أن ندرك (لحظة) من الزمان هي اللحظة الحالية، ولا نستطيع أن نعود لا للخلف ولا نستطيع أن نتقدم للأمام. في حين أن الله عز وجل (خالق الزمان) (ورب الزمان) يرى كل الزمان دفعة واحدة، اي أنه عز وجل يرى الماضي والحاضر والمستقبل بنفس الوقت، لذلك نرى أنه عز وجل يتكلم احيانا عن الماضي بصيغة المستقبل أو عن المستقبل بصيغة الماضي، فلا فرق بين الماضي والحاضر والمستقبل عنده عز وجل. وفي هذا المقام، لو أننا سألنا أنفسنا أيهما أعظم في علم الله (العلم المشهود) أم (علم الغيب)، يكون من فهمنا الصحيح

لما سبق، أنه لا فرق بين علم الله المشهود وبين علم الغيب، وإنما تم قسمة العلم بهذا الصورة من أجل الإنسان، فالفرق هو للإنسان، وهذا الفرق كان ليستدل الإنسان من خلاله على ضعفه ومحدودية وضآلة قدرته في علمه وعمله وفعله. فلو أننا طلبنا من إنسان أن يعيد الكلمات التي تكلم بها خلال 5 دقائق ماضية مثلاً لعجز، ولو أننا طلبنا منه أن يعيد حركاته التي تحرك به خلال الخمسة ثواني السابقة لعجز أيضاً، ولو أننا طلبنا منه أن يخبرنا بما حدث داخل جسده في آخر لحظة من الزمن لعجز.

قلنا أن الزمان مخلوق ضعيف محتاج لله في كل لحظة من لحظات وجوده، والسؤال المطروح، متى خُلق هذا المخلوق؟ ومتى ينتهي؟ أما الجواب فنبدأه من قوله عز وجل في سورة الحج 22 – آية 47 (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)، من قوله عز وجل (مما تعدون) يعيد لنا سبحانه وتعالى الوقت لحياتنا الدنيا، فمتى بدء الوقت عند الإنسان؟ ما نعلمه أن اليوم عند الإنسان يولد نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، أي أن الزمان بدء بخلق السماوات والأرض. وأما نهاية الزمان فتكون بذبح الموت على صورة كبش أملح وعندها ينادى (يا أهل الجنة خلود ولا ممات، ويا أهل النار خلود ولا ممات). وأما طول الزمان من إبتدائه لإنتهائه فهو أقل من لمحظة بصر، وهذا يظهر في قوله عز وجل في سورة النحل 16 – آية 77 (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)، ويستطيع كلٌ منا أن يختبر هذه الحقيقية في نفسه، إسأل نفسك عن عمرك، ثم إسأل نفس كيف مر هذا العمر، ستجيب وبلا ريب بقولك (مثل لمح البصر)، والشيء الغريب أن الإنسان يعترف أن ما مر من عمره إنما هو (لمحة بصر)، ولكن يصعب عليه أن يعترف أن ما تبقى من العمر هو ايضاً (لمحة بصر).

الدين

الدين: الجزاء والحساب كما قال تعالى في سورة الصافات 37 – آية 53 (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ) أي مجزيون محاسبون، وفي الحديث: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) "رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس مرفوعاً" أي حاسب نفسه، وعن عمر رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)،

لم قال سبحانه وتعالى (يوم الدين) ولم يقل (يوم القيامة)؟

الدين بمعنى الجزاء وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين وكلمة الدين انسب للفظ رب العالمين وانسب للمكلفين (الدين يكون لهؤلاء المكلفين) فهو أنسب من يوم القيامة لأن القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء أما الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين لان الكلام من أوله لآخره عن المكلفين لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة. فيوم الدين هو يوم سداد الديون، فكل ما للآخرين عندك عليك سداده، وكل ما لك عند الآخرين سيوفى لك، ولكن ليس بالصورة التي تمت في الدنيا، ففي الدينا هناك مال وهناك أراضي وهناك عقارات وهناك سيارات وهناك أمور أخرى، أما يوم الدين فليس هناك إلا (الحسنات والسيئات)، إذا أخذت من إنسان ذرةً من مال بغير حق، عليك أن تدفع ثمنها بما يعدلها من حسنات، أو بأن يطرح عليك من سيئات من أمامك، في الوقت الذي ترفض فيه أن يعطي حسنة واحدة لأعز الناس عليك ليخرج بها من نار جهنم ويدخل بها الجنة.

لماذا قال سبحانه (مالك يوم الدين) ولم يقل (مالك الحياة الدنيا ومالك يوم الدين)؟

تخصيص الملك بيوم الدين لا ينفي عما عداه فالله هو رب العالمين في الدنيا والآخـــرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لسببين، أولهما أنه لا يدعي أحد حينها شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى في سورة هود 11 – آية 105: (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِـــهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)، وعن ابن عباس قال: (يوم الدين يوم الحساب للخلائـــق يدينـــهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه)، والثاني أنه عند وضـــع الحيـــاة الدنيا بجانب اليوم الآخر، تتضائل الحياة الدنيا حتى تختفي، لذلك أسقطها عز وجل وقـــال مباشرة مالك يوم الدين.